**AFKĀR** *Journal of Islamic & Religious Studies*
Volume 4, Issue 1, June 2020, PP: 71-90
E-ISSN 2616-8588; P-ISSN 2616-9223
www.afkar.com.pk; hjrs.hec.gov.pk

*Scan for download*

# منهج النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة نصارى نجران ومجادلتهم بالحسنى
## (قراءة دعوية، سياسية، حضارية)

# *The Methodology of the Prophet (peace be upon him) for D'awah & Effective Dialouge with the Chritians of Najrān*

**Abdul Qadir Abdul Karim Gondal**
Assistant Professor
Department of Usool ud Din, International Islamic University Islamabad, Pakistan

**ARTICLE INFO**

***Article History:***
*Received 15 July 2020*
*Revised 30 July 2020*
*Accepted 31 July 2020*
*Online 01Aug. 2020*

**ABSTRACT**

*Islam and Christianity have had a chequered relationship with each other through the centuries. Many efforts have been made since and great work has been produced to bring the two communities to a common ground and help build a prosperous, harmonious and pluralistic society in the true spirit of the teachings of Prophet Muhammad (peace be upon him) who advocated peaceful coexistence and mutual understanding between the communities. His desire for peace and abhorrence of war translated into a number of covenants He offered to Christian community. These documents provide a workable infrastructure for establishing peaceful coexistence and religious pluralism around the globe. This paper draws our attention to the fact that need for building such a commendable relationship between the two large communities of the world was perhaps never more acutely needed today than before. The study uses historical and descriptive research to highlight the importance of the Prophet's covenants for establishing universal brotherhood between communities in general and building bridges between Muslims and Christians in Pakistan in particular with the help of the Prophet's pluralistic approach as reflected in His covenants.*

إن نبي الله صلوات الله وسلامه عليه كان له منهج حكيم في دعوة أهل الكتاب فقد دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن.

وكان من منهجه في دعوته لأهل الكتاب أنه كان يرسل إليهم الرسل والكتب يدعوهم فيها إلى توحيد الله عز وجل والإيمان به، وبما أرسل به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، وكان في هذه الكتب يرغبهم فيما عند الله للمؤمنين، ويحذرهم عذابه وعقبه، فقد كان في كتابه الذي كتبه إلى هرقل ملك الروم كما في الصحيحين وغيرهما: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين...الخ).

كما كتب إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام: أسلم تسلم..الخ).

ومن هذه الرسائل النبوية كتابه صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نجران يدعوهم فيه إلى الإسلام (باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أمَّا بَعْدُ.. فَإنى أدْعُوكُم إلى عِبَادَةِ الله مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ، وأَدْعُوكُم إلى وِلاَيَةِ اللهِ مِنْ وِلاَيَةِ العِبَادِ، فإنْ أَبَيْتُمْ فَالجِزْيَةُ، فَإنْ أَبَيْتُمْ فَقَدْ آذَنْتُكُمْ بِحَربٍ، والسَّلام).

ويتضح من هذا الكتاب أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين لهم ما يجب عمله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، فإن لم يرضوا بهذا المطلب النبيل فإن عليهم دفع الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن امتنعوا عن هذا أيضا فليس بينهم وبين المسلمين إلا الحرب حتى يذعنوا لواحد من هذين الشرطين.

وبعد وصول كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى نصارى نجران، وعلموا وتأكدوا جدية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مطلبه، وبالتالي اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم، ووصلوا في نهاية اجتماعهم إلى إرسال وفد من أعيانهم إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليناقشوه ويعرفوا حقيقة الأمور منه بشكل مباشر[1]

ذكر كتاب السيرة والدلائل أن وفداً – أو وفوداً - من نصارى نجران جاؤوا على النبي صلى الله عليه وسلم وجادلوه وناظروه في أمر المسيح، وألوهيته، وقد رويت هذه القصة بأسانيد متعددة، ورايات كثيرة، وألفاظ متقاربة في بعض الأحيان، ومختلفة في أحيان أخرى.

وقد استنبط العلماء من هذه القصة فوائد عديدة في مسائل العقيدة، والدعوة إلى الله، والأحكام الفقهية في الفروع[2]، مما يدل على أهميتها والحرص على الاعتناء بها، وهذا من أهم الاسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع وسأحاول – قدر المستطاع – إبراز هذه الجوانب خلال البحث، وإيراد ما دوَّنه أهل العلم فيما يتعلق بهذه القصة من مسائل تتعلق بالدعوة وأسلوبها والحوار مع المخالف بالحكمة والموعظة الحسنة كما قرّرها النبي صلى الله عليه وسلم من خلال هذه القصة والتي ستجدونها إن شاء الله في مظانّها، والله أسأل التوفيق والإعانة والسداد.

وقد قسّمتُ هذا البحث إلى مقدمةٍ وثلاثة مباحث وخاتمة كالآتي:

1. المقدمة: بيّنتُ فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
2. المبحث الأوّل: دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران وموقفهم منها وفيه مطلبان:
   - أ- المطلب الأول: دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران والمشاورات التي دارت حولها.
   - ب- المطلب الثاني: إرسال الوفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وما جرى بينهم.

3. المبحث الثاني: فقه الدعوة في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران وفيه مطلبان:

أ- المطلب الأول: معالم دعوية في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران.

ب- المطلب الثاني: منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع المخالف من خلال قصة نصارى نجران.

4. المبحث الثالث: القيم الحضارية والإنسانية في ميثاق نصارى نجران.

5. الخاتمة: وقد ذكرتُ فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

**المبحث الأول: دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران وموقفهم منها**

**المطلب الأول: دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران والمشاورات التي دارت حولها**

كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل كتبه إلى رؤساء الدول والقبائل المجاورة يدعوهم إلى الإسلام فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً إلى أهل نجران الذين ظلوا على مسيحيتهم ولم يدخلوا في الإسلام مع من دخل من أهل نجران فقد بعث إليهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كتابا موجها إلى أساقفتهم، فقد روى الإمام البيهقي وغيره من طريق سلمة بن عبد يسوع، عن أبيه، عن جده، قال يونس وكان نصرانياً فأسلم : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل نجران: (باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أمَّا بَعْدُ.. فَإنى أدْعُوكُم إلى عِبَادَةِ الله مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ، وأَدْعُوكُم إلى وِلاَيَةِ اللهِ مِنْ وِلاَيَةِ العِبَادِ، فإنْ أَبَيْتُمْ فَالجِزْيَةُ، فَإنْ أَبَيْتُمْ فَقَدْ آذَنْتُكُمْ بِحَربٍ، والسَّلام). فلما أتى الأسقف الكتابُ فقرأه، فَظِعَ به، وذعر به ذعراً شديداً، فبعث إلى رجل من أهل نجرانَ يُقال له: (شُرحبيل ابن وداعة)، وكان من همدان، ولم يكن أحد يُدعى إذا نزل مُعضِلة قبله، لا الأيهم، ولا السيدُ، ولا العاقِبُ، فدفع الأسقف كِتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، فقرأه، فقال الأسقف: يا أبا مريم؛ ما رأيُك؟ فقال شُرحبيل: قد علمتَ ما وعد الله إبراهيم في ذُرّية إسماعيل من النبوة، فما يؤمَن أن يكون هذا هو ذلك الرجل، ليس لى في النبوة رأى، لو كان من أمر الدنيا أشرتُ عليك فيه برأى وجهدتُ لك فيه، فقال الأسقف: تنح فاجلس، فتنحَّى شُرحبيل فجلس ناحية، فبعث الأسقف إلى رجل مِن أهل نجران يقال له: (عبد الله ابن شُرحبيل)، وهو من ذى أصبح من حِمْيَر، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأى فيه، فقال له مثلَ قول شُرحبيل. فقال له الأسقف: تنح فاجلِس، فتنحَّى، فجلس ناحية، فبعث الأسقفُ إلى رجل من أهل نجران يقال له: (جبار بن فيض) من بنى الحارث بن كعب، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأى فيه، فقال له مثلَ قولِ شُرحبيل وعبد الله، فأمره الأسقف فتنحَّى، فلما اجتمع الرأىُ منهم على تلك المقالة جميعاً، أمر الأسقفُ بالناقوس، فضُرِبَ به، ورُفِعَتِ المسوحُ في الصوامع، وكذلك كانُوا يفعلون إذا فزِعُوا بالنهار، وإذا كان فزَعُهم بالليل ضُرِبَ الناقوس، ورُفِعَت النيران في الصوامع، فاجتمعَ حين ضُرِبَ بالناقوس، ورُفِعَت المسوح أهلُ الوادى أعلاه وأسفله، وطولُ الوادى مسيرةُ يوم للراكب السريع، وفيه ثلاثٌ وسبعون قرية، وعشرون ومائة ألف مقاتل، فقرأ عليهم كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسألهم عن الرأى فيه، فاجتمع رأىُ أهلِ الوادى منهم على أن يبعثوا شُرحبيل بن وداعة الهَمْدَانى، وعبد الله بن شُرحبيل، وجبار بن فيض الحارثى، فيأتوهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

هذا ما ذكرته كتب السيرة عن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران وكتابه لهم والمشاورات التي دارت بين نصارى نجران بشأن كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، مع تفاوت يسير في بعض الألفاظ في سياق القصة وأحداثها[4].

**وللتعليق على هذه الرواية نذكر ما يلي:**

**أولاً:** هذه الرواية تبين أن مجيئهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد أن أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم كتاباً يدعوهم فيه إلى الإسلام وأنهم جاءوا إليه بعد أن أجمعوا أمرهم، واستقر رأيهم على إرسال هذا الوفد لمعرفة حقيقة ما يحمله الكتاب من دعوة إلى الإسلام أو الجزية وإلا فالحرب.

**ثانياً:** يبدو أن هذا الوفد سبقه وفود أخرى بل إنه – في رأيي – من أواخرها فالكتاب فيه دعوة إلى الإسلام، فإن أبوا فالجزية، وإلا فالحرب. فلا خيار لهم إلا الإجابة والرضا بواحد من الأمرين الأولين وإلا فالحرب. والكتاب فيه تحذير لهم. فعليهم أن يتخذوا موقفاً محدداً وواضحاً[5].

ويبدو أن الوفود من نجران كانت تغدوا وتروح على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسأله ويجيب ثم يعودون إلى بلادهم ولا يؤمنون رغم أن الروايات تؤكد معرفتهم بنبي الإسلام. فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن أرسل إليهم ليستوضح حقيقة أمرهم وموقفهم المحدد من هذا الدين.

**ثالثاً:** النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يبدأ أحداً بالقتال – كما هو واضح من هذه الرسالة خاصة ومن حياته صلى الله عليه وسلم وهدية عامة – فكان إذا بعث سرية يأمر أميرها بأن يعرض على عدوه الإسلام قبل القتال، فإن أبوا بذلوا الجزية فإن أبوا فالقتال[6].

قال ابن القيم: (وكان يأمر أمير سريته أن يدعو عدوه قبل القتال: إما إلى الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين ليس لهم في الفيء نصيب، أو بذل الجزية. فإن هم أجابوا إليهم قبل منهم وإلا استعان بالله وقاتلهم)[7].

وما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله هو جزء من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه وفيه: ... وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم... فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، فإن هم أبوا فاستعن عليهم بالله تعالى وقاتلهم"[8]

فدعوة المسلمين للكفار –قبل قتالهم- واجبة إذا كانت الدعوة لم تبلغهم، أما إن كانت قد بلغتهم فدعوتهم حينئذ مستحبة، وهذا فيما إذا كان المسلمون هم القاصدين للكفار، فأما إذا قصدهم الكفار في ديارهم فلهم أن يقاتلوهم من غير دعوة، لأنهم يدفعونهم عن أنفسهم وحريمهم[9].

**المطلب الثاني: إرسال الوفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وما جرى بينهم**

بعد أن استقر رأي أهل نجران على إرسال وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ليأتوهم بخبره، أرسلوا ساداتهم ووجهاءهم إلى المدينة، وقد تعددت الروايات في ذكر أمر مجيء وفد نصارى نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر عدد هؤلاء الوفد.

ومن أشهر هذه الروايات ما ذكره ابن إسحاق حيث قال: "وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم، وهم: العاقب والسيد والأسقف..."[10].

وهذه الرواية هي التي يعتمد عليها أغلب المفسرين، ومؤلفو كتب الدلائل وكتب التاريخ[11].وقد ذكر شأن هذا الوفد كثير من المحدثين مثل البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم لكن رواياتهم تتناول أحداث مختصرة من هذه القصة وقد ذكرها مفصّلة كثير من المؤرخين وأصحاب السير والمغازي كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

**أولاً: رواية ابن هشام لقصة قدوم وفد نجران**

ذكر ابن هشام قصة قدوم وفد نجران بسياقٍ يختلف عما ذكره البيهقي في الدلائل من طريق ابن اسحاق وقد فصّل تفصيلاً في رواية عنه لم يذكره غيره ومنها: قال ابن إسحاق: وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ نصارى نجران بالمدينة، فحدَّثنى محمد بن جعفر بن الزبير، قال: لما قدم وفد نجرانَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخلُوا عليه مسجدَه بعد صلاة العصر، فحانت صلاتُهم، فقاموا يُصَلُّون في مسجده، فأراد الناسُ منعهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دَعُوهُم) فاسْتَقْبَلُوا المَشْرِقَ، فَصَلَّوا صَلاَتَهُمْ.

**ثانياً: رواية البيهقي لقصة قدوم وفد نجران**

روى البيهقي في دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة ومبسوطة فيها زيادة كثيرة لم تكن في الصحيحين ولا في غيرهما وذكر لقدوم الوفد سبباً هو أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى أسقف نجران كتاباً يدعوهم فيه إلى الإسلام وقد أشرت إلى هذا في المطلب الأوّل وفيها: فانطلق الوفدُ حتى إذا كانُوا بالمدينة، وضعُوا ثيابَ السفر عنهم، ولبسوا حُللاً لهم يجرُّونها من الحِبَرَةِ، وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أَتَوْا رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فسلَّموا عليه، فلم يَرُدَّ عليهم السلامَ، وتصدَّوا لِكلامه نهاراً طويلاً، فلم يُكلِّمهم، وعليهم تِلك الحُلل والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمانَ بن عفان، وعبد الرحمن بن عَوْف، وكانا معرفةً لهم، كانا يُخرِجان العِيرَ في الجاهلية إلى نجرانَ، فيُشترَى لهما مِن بُرِّها وثمرها وذرتها، فوجدوهما في ناس من الأنصار والمهاجرين في مجلس، فقالوا: يا عثمان، ويا عبدَ الرحمن؛ إن نبيكم كتب إلينا بكتاب، فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلَّمنا عليه، فلم يَرُدَّ علينا سلامنا، وتصدَّيْنَا لِكلامه نهاراً طويلاً، فأعيانا أن يُكلِّمنا، فما الرأيُ منكما، أنعود؟ فقالا لعلى بن أبى طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال علىٌّ لعثمان وعبد الرحمن رضى الله عنهما: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمَهم، ويلبسوا ثيابَ سفرهم، ثم يأتوا إليه، ففعل الوفدُ ذلك، فوضعوا حُللهم وخواتيمهم، ثم عادُوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلَّمُوا عليه، فردَّ سلامهم، ثم سألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألةُ حتى قالُوا له: ما تقولُ في عيسى عليه السلام؟ فإنَّا نرجع إلى قومنا، ونحنُ نصارى، فيسرُّنا إن كنت نبياً أن نعلم ما تقول فيه؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (مَا عِنْدِى فِيهِ شَىْءٌ يَوْمِى هذا، فَأقِيمُوا حَتى أُخْبِرَكم بِمَا يُقَالُ لى في عِيسى عَلَيْهِ السَّلام)، فأصبح الغدُ وقد أنزل الله عَزَّ وجَلَّ: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ من تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا ونِسَاءكُمْ وأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} [آل عمران: 59-61] فأبوا أن يُقِرُّوا بذلك، فلما أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الغَد بعدما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملاً على الحسن والحسين رضى الله عنهما في خميل له، وفاطمةُ رضى الله عنها تمشى عند ظهره للمُباهلة، وله يومئذ عِدةُ نِسوة، فقال شُرحبيل لصاحبيه: يا عبدَ الله بن شُرحبيل، ويا جبار ابن فيض، قد علمتما أن الوادِى إذا اجتمع أعلاه وأسفلُه لم يَرِدُوا، ولم يصدُرُوا إلا عن رأى، وإنى واللهِ أرى أمراً مقبلاً، وأرى واللهِ إن كان هذا الرجلُ مَلكاً مبعوثاً، فكنا أولَ العرب طعن في عينه، وردَّ عليه أمره لا يذهب لنا من صدره، ولا مِن صدور قومه حتى يُصيبونا بجائحة، وإنَّا أدنى العرب

منهم جواراً، وإن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً، فلاعنَّاه، فلا يبقى على وجه الأرض منا شعرةٌ ولا ظفرٌ إلا هلَكَ، فقال له صاحباه: فما الرأيُ فقد وضعتك الأمورُ على ذِراعٍ، فهاتِ رأيك؟ فقال: رأيى أن أُحكِّمَه، فإنى أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً. فقالا له: أنتَ وذاك.

فلقى شُرحبيلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنى قد رأيتُ خيراً مِن مُلاعنتك، فقال: (وما هو)؟ قال شُرحبيل: حُكمك اليومَ إلى الليل وليلتك إلى الصَّباح، فمهما حكمتَ فينا، فهو جائز.

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (لَعَلَّ وَرَاءَكَ أَحَداً يُثَرِّبُ عَلَيْكَ)؟ فقال له شُرحبيل: سل صاحبىَّ، فسألهما، فقالا: ما يَردُ الوادى، ولا يصدُر إلا عن رأى شُرحبيل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كافر) أو قال: (جاحد مُوَفَّق).

فرجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولم يُلاعنهم، حتى إذا كان من الغد أتَوْه، فكتب لهم في الكتاب: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا ما كتب محمد النبىُّ رسولُ اللهِ لنجرانَ إذ كان عليهم حُكمه في كل ثمرة، وفى كل صفراء، وبيضاء، وسوداء، ورقيق، فأفضَلَ عليهم، وتركَ ذلك كُلَّه على ألفى حُلَّة، في كل رَجَب ألفُ حُلَّة، وفى كُلِّ صَفَر ألفُ حُلَّة، وكل حُلَّة أوقية، ما زادت على الخراج أو نقصت على الأواقى، فبحساب، وما قَضَوْا مِن دروع، أو خيل، أو ركاب، أو عَرَضٍ، أُخِذَ منهم بحساب، وعلى نجران مثواةُ رسلى، ومتعتهم بها عشرين فدونه، ولا يُحبس رسول فوقَ شهر، وعليهم عاريةٌ ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً إذا كان كيدٌ باليمن ومغدرة، وما هلك مما أعارُوا رسولى مِن دروع، أو خيل، أو ركاب، فهو ضَمانٌ على رسولى حتى يؤدِّيَه إليهم، ولنجرانَ وحسبها جوارُ الله وذِمَّةُ محمد النبيِّ على أنفسهم، ومِلَّتهم، وأرضِهم، وأموالهم، وغائِبهم، وشاهِدهم، وعشيرتهم، وتبعهم، وأن لا يُغيِّروا مما كانوا عليه، ولا يُغيَّر حق من حقوقهم ولا مِلَّتهم، ولا يُغيَّرُ أسقفٌ من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا وافه عن وَفهيَّتِه وكل ما تحت أيديهم مِن قليل أو كثير، وليس عليهم ريبة ولا دمُ جاهلية، ولا يُحشَرُونَ، ولا يُعَشَّرُون، ولا يطأ أرضَهم جيش، ومَن سأل منهم حقاً فبينهم النَّصَفُ غيرَ ظالمين ولا مظلومين، وَمن أكل ربا مِن ذى قبل، فذمّتى منه بريئة، ولا يُؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصحيفة جوارُ الله وذِمَّةُ محمد النبى رسول الله حتى يأتى الله بأمره ما نصحُوا وأصلحُوا فيما عليهم غيرَ منقلبين بظلم). شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عَمْرو، ومالك بن عوف، والأقرع بن حابس الحنظلى، والمغيرة بن شعبة، وكتب. حتى إذا قبضوا كتابهم، انصرفوا إلى نجران، فتلقاهم الأسقف ووجوهُ نجران على مسيرة ليلة، ومع الأسقف أخٌ له من أُمه، وهو ابنُ عمه من النسب، يقال له: بشر بن معاوية، وكنيته أبو علقمة، فدفع الوفدُ كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأسقف، فبينا هو يقرؤه، وأبو علقمة معه وهما يسيران إذ كَبَتْ ببشرٍ ناقتُه، فَتَعَّسَ بِشْرٌ، غير أنه لا يكنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له الأسقف عند ذلك: قد تَعَّسْتَ واللهِ نبِيّاً مرسلاً، فقال بشر: لا جَرَم واللهِ لا أحُلُّ عنها عقداً حتى آتيه، فضربَ وجه ناقته نحو المدينة، وثنى الأسقفُ ناقته عليه، فقال له: افهم عنى إنما قلتُ هذا لتبلغ عنى العربَ مخافة أن يقولوا: إنَّا أُخِذْنَا حُمقة أو نخعنا لهذا الرجل بما لم تَنْخَعْ به العربُ، ونحن أعزُّهم وأجمعُهم داراً، فقال له بشر: لا واللهِ لا أقيلُك ما خرج من رأسك أبداً، فضرب بشر ناقته، وهو مُولٍّ ظهره للأسقف وهو يقول:

إلَيْكَ تَعْدُو قَلِقاً وَضِينُهـا ** مُعْتَرِضاً في بَطْنِهَا جَنِينُهـا

مُخَالِفاً دِينَ النَّصارى دِينُهـا

حتى أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم ولم يزل مع النبى صلى الله عليه وسلم حتى استشهد أبو علقمة بعد ذلك.

ودخل الوفد نجران، فأتى الراهب ابن أبى شمر الزبيدى، وهو في رأس صومعة له، فقال له: إن نبياً قد بُعِث بتهامة، وإنَّه كتب إلى الأسقف، فأجمع أهلُ الوادى أن يُسَيِّروا إليه شُرحبيل بن وداعة، وعبد الله بن شُرحبيل، وجبار ابن فيض، فيأتونهم بخبره، فسارُوا حتى أتَوْه، فدعاهم إلى المباهلة، فكرهوا ملاعنته، وحكَّمه شُرحبيل فحكم عليهم حكماً، وكتب لهم كتاباً، ثم أقبل الوفدُ بالكتاب حتى دفعُوه إلى الأسقف، فبينا الأسقفُ يقرؤه وبشر معه حتى كبت ببشر ناقته فتعَّسَه، فشهد الأسقفُ أنه نبى مرسل، فانصرف أبو علقمة نحوَه يُريد الإسلام، فقال الراهب: أنزلونى وإلا رميتُ بنفسى مِن هذه الصومعة، فأنزلوه، فانطلق الراهبُ بِهَدِية إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، منها هذا البُردُ الذي يَلبَسُهُ الخلفاء والقعب والعصا، وأقام الراهبُ بعد ذلك يسمع كيف ينزل الوحىُ، والسنن، والفرائض، والحدودُ، وأبى الله لِلراهب الإسلام، فلم يُسلم، واستأذنَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في الرجعة إلى قومه، وقال: إنَّ لى حاجةً ومعاداً إن شاء الله تعالى، فرجع إلى قومه، فلم يعد حتى قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإنَّ الأسقف أبا الحارث أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السَّيد والعاقِب ووجوهُ قومه، وأقامُوا عنده يستمعون ما ينزل اللهُ عليه، فكتب للأسقف هذا الكتاب وللأساقفة بنجران بعده: (بِسْم اللهِ الرَّحْمَن الرَّحيم، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيّ إلى الأسقُفُ أبى الحارث وأسَاقِفَةِ نَجْرانَ وكَهَنَتِهم، ورُهْبَانِهِمْ، وأهْلِ بِيَعِهم، ورَقيقِهم، ومِلَّتِهم، وسَوَقِتِهم، وعَلى كُلِّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهم مِنْ قَلِيلٍ وَكثِيرٍ، جِوارُ اللهِ ورَسُولِه، لا يُغَيَّرُ أُسْقُفٌ مِنْ أُسْقُفَتِهِ ولا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ، ولا كَاهِنٌ مِنْ كَهَانَتِه، ولا يُغَيَّرُ حَقٌ مِنْ حُقُوقِهِم، ولا سُلْطَانِهم، ولا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، عَلى ذلِكَ جِوَارُ اللهِ ورَسُولِه أبَداً ما نَصحوا وأَصْلَحوا عَلَيْهِم، غَيْرَ منقَلِبِين بِظَالِمٍ، ولا ظَالِمِينَ). وكتب المغيرةُ بن شعبة، فلما قبض الأسقفُ الكتاب، استأذن في الانصراف إلى قومه ومَن معه، فأذن لهم، فانصرفوا[12].

هذا ما ذكرته كتب السير والتفاسير[13] في شأن قدوم وفد نجران على النبي صلى الله عليه وسلم، وما جري بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجدال إلى أن انتهى بهم الأمر إلى المباهلة، حيث امتنعوا منها اعترافاً منهم بصدق نبوته عليه الصلاة والسلام، وطلبوا منه أن يحكم فيهم، فعقد لهم هذا الكتاب.

**ثالثاً: ملخص أحداث وفد نصارى نجران**

وقد تبين مما تقدم من الروايات، أن نصارى نجران أرسلوا وفدًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مُكَوَّنًا من أربعة عشر رجلاً[14]، وكان أمير الوفد رجلاً يُدْعَى العاقب، وكان هناك رجل آخر يتولَّى إدارة الرحلة، كانوا يلقِّبونه بالسيد، بينما كان هناك رجل ثالث مسئول عن الأمور الدينية، وهو أسقف الرحلة وحبرها، واسمه أبو الحارث، فكان هؤلاء الثلاثة على رأس الوفد، وهم الذين يتولَّوْن التفاوض[15].

وقد جاء وفد نصارى نجران في هيئة منظَّمة، وفي صورة منمَّقة لدرجة المبالغة؛ حيث لبسوا الثياب الحريرية، وتحلَّوْا بالخواتم الذهبية، وكان من الواضح أن الوفد لم يكن في نيته أن يُسْلِمَ، وإنما أتى ليناظر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية، وليبهره والمسلمين من ناحية أخرى؛ فعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم الإسلام؛ ولكنهم رفضوا، وقالوا: كنا مسلمين قبلكم!. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم: "يَمْنَعُكُمْ مِنَ الإِسْلاَمِ ثَلاَثٌ: عِبَادَتُكُمُ الصَّلِيبَ، وَأَكْلِكُمْ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ، وَزَعْمُكُمْ أَنَّ لِلّهِ وَلَدًا"[16].

فهذه أمور ثلاثة حرفتموها في الإنجيل، ولم تُسْلِموا فيها لله رب العالمين، ولا يستقيم أن تُطْلِقوا على أنفسكم: "مسلمين". قبل أن تتركوا هذا الاعتقاد الفاسد.

وكثر الجدال بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكثر إلقاء الشبهات والردّ عليها، وكان مما قالوه: ما لك تشتم صاحبنا -يقصدون عيسى عليه السلام- وتقول: إنه عبد الله؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَجَلْ، إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءَ الْبَتُولِ"[17].

ولم يكن هذا انتقاصًا أبدًا من عيسى عليه السلام، بل العبودية لله تشريف، وهو رسول من أُولي العزم من الرسل، وهو كلمة الله ألقاها إلى مريم عليها السلام، والتي نُكَرِّمُهَا أيضًا ونُجِلُّهَا، وننفى عنها أي شبهة سوء، فنقول: إنها مريم العذراء البتول.

لكن وفد نجران لم يتنازلوا عن هذا الاعتقاد؛ فغضبوا من وصف عيسى عليه السلام بالبشرية والعبودية، وقالوا: هل رأيت إنسانًا قَطُّ من غير أب؟! فإن كنتَ صادقًا فأْرِنا مثله. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما عندي شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يُقال في عيسى[18]".

فأصبح الغد، وقد أنزل الله: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[19].

ولكن هذا الكلام المقنع لم يُعجب النصارى، ووصلت المحاورة إلى طريق مسدود؛ ومن ثَمَّ دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة، ولكنهم رفضوا لعلمهم أنه نبي مرسل -كما أشرنا من قبل- فصالحَهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية، بعدما تحمَّل كِبْرَهم وإعراضهم؛ رغم أنهم الذين جاءوا للصلح، وأنهم ليسوا أهل قوةٍ، ولو شاء الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحاربهم لأرسل إليهم جيشًا كبيرًا؛ ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد إرساء قواعد السلام بين المسلمين وسائر الأمم، القريب منها والبعيد.

وقد استنبط العلماء من هذه القصة فوائد عديدة في مسائل العقيدة، والدعوة إلى الله، والأحكام الفقهية في الفروع[20]، مما يدل على أهميتها والحرص على الاعتناء بها، وهذا من أهم الاسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع وسأحاول – قدر المستطاع – إبراز هذه الجوانب خلال البحث، وإيراد ما دوَّنه أهل العلم فيما يتعلق بهذه المعاهدة من مسائل كما ستجدونه إن شاء الله في مظانِّه، والله أسأل التوفيق والإعانة والسداد.

قلت: إن المتأمل لهذه القصة وما صنعه النبي صلى الله عليه وسلم مع هؤلاء الجماعة الذين قدموا عليه، وهو في المدينة، وجهروا بالكفر أمامه وتوعدوه بالمباهلة عند الغد، ومع هذا فإنه صلى الله عليه وسلم لم يعاملهم بما يستحقونه من العقوبة، ولم يقتل منهم أحداً بل قبل طلبهم حيث طلبوا منه أن يصالحوه على دفع الجزية، وأن يرسل معهم رجلاً من أصحابه أميناً لا يظلمهم، ولا يزيد على ما التزموه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فالناظر في أمره مع هؤلاء يجده منهجاً حكيماً من مناهج الدعوة غلَّب فيه صلى الله عليه وسلم أسلوب اللين والصفح والرحمة بالمدعوين؛ لأن ذلك أدعى إلى قبولهم للدعوة وعدم النفرة منها، وإلا فهو صلى الله عليه وسلم قادر على أن ينكل بهم، ولكنه غلّب جانب الصبر والصفح كعادته مع أمته عامة مشركها ومسلمها، كما مره ربه بذلك حيث يقول له: ﴿**فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾[21].

**المبحث الثاني: فقه الدعوة في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران**

إن الحوار له أهمية كبرى في ديننا الحنيف، فالمتأمل في نصوص الكتاب والسنة يجد ذلك واضحا في حوار الله مع ملائكته ورسله، وحوار الرسل مع أقوامهمً، ولهذا اعتنى أهل العلم والمثقفون من المسلمين بالحوار منذ القرون الأولى وإلى وقتنا الحاضر، وبحثي هذا لا يتحدث عن القيام بالحوار وأهمية ذلك، بقدر ما يتحدث عن كيفية القيام بالحوار والمنهج الصحيح في ذلك، ومن هنا أتت فكرة البحث من خلال محاور هذا المؤتمر الكريم، وهي كيف حاور الرسول - صلى الله عليه وسلم – مع نصارى نجران؟

ولا شك أن الإجابة على هذا السؤال سترسم لنا -بإذن الله- المنهج النبوي الكريم في ذلك، وهذا في نظري نحتاج إليه كثيراً. لأن الحديث عن الحوار مع المخالف، وأهميته ذلك قد كتب فيه كثيراً ولله الحمد، ولكي يكون بحثي مركزاً ارتأيت أن يكون حوار الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع وفد نجران أنموذجاً.

**المطلب الأول: معالم دعوية في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران**

وإن المتأمل في منهجه - صلى الله عليه وسلم - في حواره هذا مع وفد نصارى نجران يجد ما يلي:

أولا: الوضوح في الدعوة إلى الحق (الإسلام).

فكان من منهجه - عليه الصلاة والسلام - في حواره مع النصارى دعوتهم إلى الإسلام؛ بل إن هذا هو الهدف من حواراته، - صلى الله عليه وسلم - معهم، ونجده - صلى الله عليه وسلم - في بداية كل حوار معهم يدعوهم إلى الإسلام، فتأمل خطابه الذي بعث به إلى نصارى نجران وفيه: ((أما بعد: فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد)).

ولما جاء الوفد ودخلوا عليه، - صلى الله عليه وسلم - فإنه دعاهم إلى الإسلام في بداية الحوار معهم، فامتنعوا.

وليس هذا مع نصارى نجران فحسب؛ بل مع جميع النصارى الذين حاورهم أو راسلهم فهناك وفد من نصارى الحبشة، أتوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل الهجرة إلى المدينة، ودخلوا عليه وهو في المسجد الحرام، وجلسوا إليه وكلَّموه، ولما فرغوا من مسألته - صلى الله عليه وسلم - دعاهم إلى الله فأسلموا، وكذلك في قصة إسلام عدي بن حاتم الطائي ففي بداية اللقاء قال له - صلى الله عليه وسلم–: ((ما يضرك أن تقول لا إله إلا الله، فهل تعلم من إله سوى الله)) فقال عدي: "لا". وأيضاً حينما التقى بعدَّاس في بستان عتبة وشيبة ابني ربيعة حيث كان رقيقاً لهما، وذلك عقيب خروجه - صلى الله عليه وسلم - من الطائف، ورفض أهلها الإيمان وقد آذوه وأدموه، فعرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه الإسلام فأسلم عدَّاس، وهذا نجده مطرّداً في جميع مكاتباته - صلى الله عليه وسلم - إلى ملوك النصارى.

ثانياً: عدم الإكراه على الإسلام.

فكان من منهجه - عليه الصلاة والسلام - عدم إكراه الطرف الآخر على الإسلام وذلك في حواراته مع النصارى أو مع غيرهم، مع أنه كان في موطن القوة والنصر من الله - تعالى -، ومع وجود التعنت من الطرف المخالف، فإن ذلك لم يجعله - صلى الله عليه وسلم - يجبرهم أو يكرههم، لأن الإسلام بسماحته، وخلقه، وموافقته للفطرة، لا يحتاج إلى أن يجبر الناس عليه، فهو يقتحم القلوب اقتحاماً لذلك نجد في كتاب الله - تعالى -قوله عز من قائل: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)[22].

وها هو - صلى الله عليه وسلم - في كتابه إلى أهل نجران لم يكرههم على الإسلام، بل خيرهم، فقد جاء في كتابه ذلك بعد أن دعاهم إلى الإسلام: ((فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب، والسّلام)). وأيضاً لما التقى به الوفد، فإنه دعاهم إلى الإسلام، وحاورهم، ولم يجبرهم على قبول ما دعاهم إليه.

ثالثاً: إبطال التصورات الخاطئة وتوضيح الحقائق التي لُبّست.

وقد فعل ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع وفد نصارى نجران؛ حينما التقوا مع اليهود فتجادلوا في المسجد أمام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكل فريق يقول للآخر لستم على شيء، وكلٌ كفر بما عند الآخر، وكلّ ادعى أن إبراهيم - عليه السلام - ينتسب إليه ثم توجّهوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال أحد أحبار اليهود وهو أبو رافع القرظي: "أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ " فقال رجل من أهل نجران واسمه الربيس: "أو ذاك تريد منا يا محمد، وإليه تدعونا؟" فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((معاذ الله، أن أعبد غير الله، أو آمر بعبادة غيره، فما بعثني بذلك الله، ولا أمرني))، فأنزل الله - تعالى -قوله: (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون))[23]؟

فهنا وضحّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - حقيقة الدعوة، وأمر الدين متسلحاً بالرفق آخذاً بالصبر لعلمه - عليه الصلاة والسلام -، أن تلك مغالطة منهم ليس إلا فبين أنه لا يعبد أحداً غير الله، ولم يدعو لذلك بل إن دعوته خلاف ذلك، فمبناها على عبادة الله وحده، والأمر بذلك، وهو هنا أزال ذلك اللّبس وصحّح تصوّرهم الخاطئ، ووضح للناس ذلك التلبيس على دعوته - صلى الله عليه وسلم -، وقد نزل الوحي مؤيداً له بذلك وبما قال.

رابعاً: الإعراض عن الجدال والمراء الذي لا فائدة منه:

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - أعرض عن الدخول في الجدال العقيم، الذي خاض فيه اليهود والنصارى أمامه، بل إنه فضل الصمت عندما وصل الحوار معهم إلى طريقة مسدودة

خامساً: التركيز على القضايا العقدية الكبرى:

ونلمس هذا في حوار - صلى الله عليه وسلم - مع نصارى نجران، حيث ركز على توحيد الله في العبادة، وعلى توحيده - عز وجل - في أفعاله، وعلى بشرية عيسى - عليه السلام -، ومشابهة ذلك بآدم - عليه السلام -، وهذه القضايا نجدها بارزة في مكاتبيه لهم في أول الأمر وفي أسئلته لهم، وفي إجابته لهم على أسئلتهم، وفي ردهم لهم على تصوراتهم الباطلة، وقد ذكرت النص بكامله في أول البحث، ولعله من المناسب هنا عدم تكراره..

سادساً: مجادلة أهل الكتاب بالحكمة والموعظة الحسنة

الحث على مجادلة أهل الكتاب بالحكمة والموعظة الحسنة فإنه صلى الله عليه وسلم دعا هذين الوفدين إلى الدخول في الإسلام بحكمة رائعة حيث تلا عليهم كتاب الله، ولما حول كفار قريش أن يصدوهم عن الإسلام وجدوه تمكن من قلوبهم ففشلوا في تلك المحاولة.

وأما الوفد الثاني فإنه دعاه بحكمة أيضاً، ولكنه في الوقت نفسه لم يسلم منه أحد، وقد تقدم أن رئيسيه العاقب والسيد لم يلبثنا أن رجعاً وأسلما.

**المطلب الثاني: منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع المخالف من خلال قصة نصارى نجران**

أولاً: ابتداء التواصل مع المخالف.

فهنا نجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - اهتم بنصارى نجران المخالفين له، في العقيدة حيث كاتبهم وبدأهم بذلك، فكان أول خطابه: ((بِاسْمِ إِلَهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ اللّهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالْجِزْيَةُ فَإِنْ أبيتم فقد آذنتكم بحرب، والسلام)).

ثانياً: إبراز القواسم المشتركة مع المخالف:

وهذا أدعى لقبول الحق، وقد اهتم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بإبراز ذلك حيث ابتدأ كتابه إلى أهل نجران باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وليس يخفى ما في ذكر هؤلاء الأنبياء من إشعار للمخاطب بنوع من التواصل، وهذا بدوره يقرب النفوس النافرة، ودليل تأثير هذا الأسلوب ما جاء في قصة عدّاس النصراني لمّا سأله رسول الله عليه وسلم عن دينه وسأله عن البلاد التي جاء منها، وأجابه بأنه من نَيْنوى فمباشرة قال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((من قرية الرجل الصالح يونس بن متى))، فقال عدّاس: "وما يدريك ما يونس بن متى؟" فقال: الرسول - صلى الله عليه وسلم -: ((ذاك أخي، وكان نبياً وأنا نبي)) فأكب عدّاس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يقبل رأسه ويديه وقدميه، وأسلم على يدي الرسول - صلى الله عليه وسلم -، فلما عاد إلى ابني ربيعة، وهما سيداه آنذاك قالا له: "ويلك يا عداس! مالك تقبلَّ هذا الرجل ويديه وقدميه؟" قال: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي[24].

ثالثاً: السماحة ولين الجانب.

لما قدم نصارى نجران المدينة دخلوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهو في مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم فقاموا يصلّون في مسجده - صلى الله عليه وسلم -، فأراد الناس منعهم فقال - عليه الصلاة والسلام –: ((دعُوهُم)) فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم.

وهنا يبرز جانب السماحة منه - صلى الله عليه وسلم -، وجانب الرفق والتلطف مع المخالف، ولو تأملنا هذا الفعل منه - صلى الله عليه وسلم - لوجدنا الدلالات الآتية:

أ) أنهم فعلوا وهم كفار، ويقولون بالتثليث، ويعبدون الصليب، ومع ذلك يأذن لهم بدخول المسجد النبوي الشريف.

ب) قيامهم بتأدية صلاتهم في مسجده - عليه الصلاة والسلام -، مع أنها تخالف صلاة المسلمين.

ج) استقبالهم للمشرق، وهذا فيه مخالفة لقبلة المسلمين.

ولا شك أن فعله - صلى الله عليه وسلم - ذلك هو من التسامح الداعي، إلى ترغيبهم في قبول الحق، وتأليف القلوب. وقد استدل ابن القيم - رحمه الله تعالى -بهذا على جواز دخول أهل الكتاب، مساجد المسلمين، وتمكينهم من صلاتهم، بحضرة المسلمين وفي مساجدهم أيضاً إذا كان ذلك عارضاً، ولا يمكنون من اعتياد ذلك.

وأيضاً نجد ذلك في تعامله - صلى الله عليه وسلم - حينما استقبل عدي بن حاتم الطائي وأخذ بيده، واستضافه في منزله، وأكرمه حينما قدَّم له وسادة وأجلسه عليها، وجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الأرض، يقول عدي - رضي الله عنه -: "فقلت في نفسي والله ما هذا بأمر ملك"، وعدي آنذاك مخالف لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في دينه، ويدين بدين باطل، ومع ذلك يتبسط معه - صلى الله عليه وسلم - في الكلام والحوار ويلاطفه بل

ويمسك بيده، ويدخله في بيته، ويحاوره بكل أدب ورفق والنتيجة ختام الحوار بإسلام عدي - رضي الله عنه.-

رابعاً: الرحمة والرفق والشفقة على المخالف:

ولا تكاد تطالع حواراً له - صلى الله عليه وسلم - مع النصارى، أو غيرهم إلا وتجد ظهور هذا الجانب بكل وضوح، فوفد نجران لما التقوا برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبعد الحوار الذي حدث بينهم وبعد أن تبين الحق، وتمت الإجابة على أسئلتهم، ونزل بذلك القرآن أبوا أن يُقرّوا بذلك، وأرادوا الملاعنة وهي المباهلة التي وردت في قوله.

والبَهْل من معانيه الدعاء، ومعناه هنا اللّعن: بهله الله بهلاً: أي لعنه، وعليه بهلة الله، أي لعنة الله، (ثم نبتهل) أي نخلص في الدعاء، ويجتهد كل منهما في الدعاء واللعن على الكاذب منا.

وصورة المباهلة: أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء، فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا.

ولما طلبوا المباهلة استجاب لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وذلك ببيان الحق ثم لمّا عرفوا صدقه - صلى الله عليه وسلم -، وخافوا من عواقب ذلك طلبوا منه عدم الملاعنة، فاستجاب لهم رحمة وشفقة ورفقاً بهم، وقد جاء في الحديث عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران لو تمّوا على الملاعنة)).

أيضاً يبرز هذا الجانب حينما طلب أحد قادة الوفد النجراني عدم المباهلة، وقال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إني رأيتُ خيراً من مُلاعنتك" فقال: ((وما هو؟))، قال: "شرحبيل وهو من أشرافهم: حُكمك اليوم إلى الليل، وليلتك إلى الصباح مهما حكمت فينا، فهو جائز"، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: ((لعلَّ وراءَك أحداً يثربُ عليك)) فقال شرحبيل: "سل صاحبي، فسألهما"، فقالا: "ما يَردُ الوادي، ولا يصدرُ: لا عن رأي شُرحبيل"، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((كافر)) أو قال: ((جاحد موفق)).

والشاهد هنا تنبيه - صلى الله عليه وسلم - لهذا الرجل النصراني؛ لأمر قد لا يقدر عليه، وقد يجد فيه حرجاً من قومه أو قد يثّربوا عليه، والحقيقة أن المتأمل لهذا المنهج الذي سار عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليجد قمة العدل، والأمان، والرحمة، والشفقة، مع المخالف.

خامساً: الإجابة على أسئلة النصارى جميعها ولما أشكل عليه شيء من ذلك فإنه توقف حتى نزل الوحي.

ومن منهج - صلى الله عليه وسلم - الإجابة على جميع الأسئلة التي طرحها النصارى بكل دقة ووضوح وصراحة، ولما سألوا عن عيسى - عليه السلام - توقف وقال: ((ما عندي فيه شيء يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقال في عيسى - عليه السلام)).

وهذا منهج ينبغي أن نسير عليه في حوارنا مع الآخر، فما نعلمه نقوله ونجيب عليه وما أشكل علينا نرجئه أو نسأل فيه أهل العلم، يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى -في تعليقه على هذه المسألة وفي حديثه عن فقه قصة نصارى نجران: "ومنها: -أي من فقه القصة- مناظرةُ أهل الكتاب وجوابهم عما سألوه عنه، فإن أشكل على المسؤول، سأل أهل العلم[25]."

سادساً: إسماعهم للقرآن.

وهذا منهج سار عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حواره مع النصارى الذين قدموا من نجران، وكذلك الذين جاءوا من الحبشة أسمعهم القرآن ففاضت أعينهم من الدمع، وأسلموا لما سمعوا الحق، فأنزل الله - تعالى -فيهم قوله: ﭽﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭼ[26].

ولا شك أن القرآن له وقع في النفس، وبسببه أسلم الكثير، ولذلك كان منهجاً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حواره.

سابعاً: عدم الحوار إذا رأى التعاظم والتكبر:

وذلك أن النبي صلى الله - صلى الله عليه وسلم -، لما رأى وفد نصارى نجران قد لبسوا الذهب والحرير، وصاحب ذلك الفخر، والخيلاء، والكبر، والتعاظم؛ فإنه لم يرد - عليهم السلام -، ولم يبدأ معهم في حوار إلى أن خلعوا تلك الملابس وتروضت نفوسهم للحوار فرد - عليهم السلام -، وبدأ في الحديث معهم؛ لأن التكبر والتعاظم يمنعان من قبول الحق، وقد ورد عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال عنهم: ((والذي بعثني بالحق نبياً لقد أتوني في المرّة الأولى وإن إبليس معهم))، وفي هذا ملمح لطيف، وهو أنه - صلى الله عليه وسلم - خاف عليهم من تلبيس الشيطان، ومن الكبر أن يصرفهم عن الحق، فعل كل ذلك لمصلحتهم.

ثامناً: عدم إثارة الطرف الآخر أو الإساءة إليه أو إلى ما يعتقده.

فلا يوجد في حواره - صلى الله عليه وسلم - مع نصارى نجران شيء من ذلك سواء في كلماته، أو في أسئلته، لا ما يجرح مشاعرهم، أو يستثيرهم، لأن ذلك يجعلهم في نفرة من قبول الحق، وقد يتجرأ المخالف على الدين أو على الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، وبالتالي سينحرف الحوار عن منهجه فيؤدي ذلك إلى قطع كل الحبائل التي يمكن أن تقرّب بين وجهات النظر، وقد أمرنا الله - تعالى -بذلك فقال: (ولا تسبوا الذين يَدْعون من دون الله فيسبوا الله عدْواً بغير علم)، وقد قال العلماء عن هذه الآية الكريمة: "وحكمها باق في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في منعةٍ، وخيف أن يُسبّ الإسلام، أو النبي - صلى الله عليه وسلم - أو الله - عز وجل -، فلا يحل لمسلم أن يسبَّ صلبانهم، ولا دينهم، ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك؛ لأنه بمنزل البعث على المعصية."

تاسعاً: مواجهة الطرف الآخر من خلال أفكاره:

وهذا منهج رائع في حواره - صلى الله عليه وسلم - مع النصارى حيث أنه أدانهم من أفواههم، وقد جعل ذلك في أسئلة وجهها لهم.

يقول ابن جرير في سبب نزول قوله - تعالى -: (ألم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم) إن النصارى أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخاصموه في عيسى بن مريم، وقالوا له من أبوه؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان لا إله إلا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، فقال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟ )) قالوا: "نعم"، قال: ((ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ )) قالوا: "بلى"، قال: ((ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه؟ )) قالوا: "بلى"، قال: ((فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟)) قالوا: "لا"، قال: ((ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟)) قالوا: "بلى"، قال: ((فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً إلا ما علم)) قالوا: "لا". قال: ((فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، قال: ((ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث؟))، قالوا: "بلى" قال: "ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يتغذى الصبي ثم كان يطعم

الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث؟)) قالوا: "بلى"، قال: ((فكيف يكون هذا كما زعمتم؟)) قال: فعرفوا ثم أبوا إلا جحوداً، فأنزل الله: (ألم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم.

عاشراً: المباهلة وختام الحوار:

وبعد أن ظهرت الحجة على وفد نجران، وبطلت دعواهم، وبعد أن يئس الرسول - صلى الله عليه وسلم - من إسلامهم دعاهم إلى المباهلة، فآثروا تركها لعلمهم بصدقه - عليه الصلاة والسلام.-

**المبحث الثالث: القيم الحضارية والإنسانية في ميثاق نصارى نجران**

كثيرةٌ هي العهود التي أبرمها الرسول صلى الله عليه وسلم مع المخالف دينياً وعقدياً، والتي تمثل معالم رئيسة لكيفية التعامل مع الآخر، كما تمثل أنموذجاً مثالياً لمجال العلاقة بين المسلمين وغيرهم في زمننا المعاصر.

وكان عهد الأمان الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأهل نجران – وأمنهم من خلاله على النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية الخاصة – هو التمثل الذي عقدت على منواله عهودُ الأمان اللاحقة والمتتالية على امتداد التاريخ الإسلامي والإنساني على السواء، ليصبح مضرباً ومثلاً للأجيال السابقة واللاحقة في التكيف مع الآخر عقيدة ومنهاجاً وسلوكاً.

وكان ميثاقه صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران هذا – حين قدومهم عليه عقب غزوة تبوك ( 9 للهجرة) – يمثل قمة من قمم العدل، والتعددية، والسماحة، والحرية.. والذي بفضله تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من استيعاب كل النصارى – نصارى نجران، وكل المتدينين بالنصرانية – في صلب الأمة الواحدة[27].

**أبرز ما تضمنه الوثيقة من حقوق ونُظُم وأحكام**

تضمّنت نصوص الوثيقة كثيراً من الحقوق والنظم والأحكام التي تحفظ إنسانية النصارى وتحفظ كرامتهم؛ إذ نصت الوثيقة على الآتي:

**أولاً: احترام حرية الاعتقاد:**

إذ تنص الفقرة (60) على أنه (لا يُجبر أحدٌ ممن كان على ملّة النصرانية كُرها على الإسلام).

ومن مظاهر حرية الاعتقاد التي كفلتها الوثيقة لنصارى نجران:

**حرية ممارسة الشعائر التعبدية:** إذ نصت الفقرة (30) من الوثيقة على احترام الأساقفة والرهبان وعدم التعرض لهم بالتغيير (ولا تغيير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانية).

**حق إقامة المعابد:** إذ نصت الفقرة (33) من الميثاق على عدم ((هدم بيت من بيوت بيعهم، ولا إدخال شيء من بنائهم في شيءٍ من أبنية المساجد، ولا منازل المسلمين))[28].

**الحرية في التزوج بالمسلمين:** جاء في الفقرة (72) من الميثاق ((ألّا يحملوا من النكاح شططاً لا يريدونه، ولا يكره أهل البنت على تزويج المسلمين، ولا يضاروا في ذلك إن منعوا خاطباً وأبوا تزويجاً؛ لأن ذلك لا يكون إلا بطيبة قلوبهم، ومسامحة أهوائهم))[29].

**ثانياً: العدل والمساواة:**

قامت كل علاقة إنسانية في الإسلام على العدالة، فهي الميزان المستقيم الذي يحدد العلاقات بين الناس في حال السلم، وحال الحرب على السواء ففي السلم يكون حسن الجوار قائماً على العدل، وفي الحرب يكون الباعث عليها

هو العدل، والعدالة حق للأعداء كما هي حق للأولياء، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[30].

وقد توعد النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم الظالمين بسوء المصير يوم القيامة فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((الظلم ظلمات يوم القيامة))[31].

أما قضية المساواة بين كلّ المواطنين – مسلمهم وكافرهم، برّهم وفاجرهم، ذكرهم وأنثاهم.. – في الحقوق والواجبات قد حدث فيها خلط كثير. والصواب: إنَّ المأمور به إنَّما هو العدل، والعدلُ هو إعطاء كلّ واحد ما يستحقه، أما المساواة المطلقة فليست عدلاً؛ فليس من العدل التسويةُ بين المختلفين، أو التفرقةُ بين المتساوين. وإطلاق هذه المسألة على عواهنها يؤدّي إلى كثير من المفاسد..[32] فالواجب هو التأكيدُ على العدل، وإعطاء كلّ ذي حقٍ حقَّه.

ففي الفقرة (48) من الميثاق نقرأ: (ولا خراج ولا جزية إلا على من يكون في يده ميراث من ميراث الأرض ممن يجب عليه فيه للسلطان حق، فيؤدي ذلك على ما يؤديه مثله، ولا يجار عليه، ولا يحمل منه إلا قدر طاقته وقوته على عمل الأرض وعمارتها وإقبال ثمرتها، ولا يكلف شططاً، ولا يتجاوز به حدّ أصحاب الخراج من نظرائه))[33].

**ثالثاً: التعاون والتكافل:**

العدالة والتكافل الاجتماعي ركنان أساسان لقيام مجتمع متماسك، يشعر فيه كل فرد بأهميته ومسؤوليته تجاه نفسه ومجتمعه ووطنه وأمته.

وانعدام العدالة والتكافل الاجتماعي في نواحي الحياة المختلفة يجر على الأمم والمجتمعات الويلات والخراب على شعوبها. ولتطبيق العدالة والتكافل الاجتماعي آثارٌ إيجابية في إيجاد مجتمع متماسك متراحم ومتعاون، وخلق نظام اجتماعي يوازن بين مصلحة المجتمع والفرد، والقضاء على العوامل المدمرة في المجتمع من جهلٍ وجوعٍ ومرضٍ وحسدٍ، وأيضاً تقليص الفوارق الاجتماعية، وتحقيق العدالة الاجتماعية بمعناها الواسع، حيث يشعر الجميع بالرعاية والاهتمام والأمان، والاستقرار النفسي والمادي.

**رابعاً: إشاعة التسامح في المجتمع الإسلامي:**

للتسامح قيمة كبرى في الإسلام، فهو نابع من السماحة بكل ما تعنيه من حرية، ومن مساواة لا يشوبها تمييز عنصري، بحيث حثّنا ديننا الحنيف على الإيمان بجميع الرسالات السابقة والرسل السابقين، قال الله تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ**﴾[34].

والتسامح ليس هو التنازل أو التساهل أو الحياد تجاه الغير؛ بل هو الاعتراف بالآخر؛ إنه الاحترام المتبادل، والاعتراف بالحقوق العالمية للشخص، وبالحريات الأساسية للآخرين، وهو وحده الكفيل بتحقيق العيش المشترك بين شعوب يطبعها التنوع والاختلاف، والقضاء على أجواء الاحتقان الديني، والتعصب المذهبي. على أن الإسلام لا يكتفي بهذا الموقف السلبي، وهو عدم إكراه الناس على الدخول فيه، بل يتقدّم بنا إلى الأمام فيرسم لنا خطوات إيجابية نكرّم بها الإنسانية في شخص غير المسلمين، هل ترى أسمى وأنبل من تلك الوصية التي يوصينا بها القرآن الكريم في معاملة الوثنية التي هي أبعد الديانات عن الإسلام، فضلاً عن الديانات التي تربطنا بها أواصر الوحي السماوي؟ اقرأ قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ**﴾[35]. فهو لا يكتفي منا بأن نجير هؤلاء المشركين ونؤويهم، ونكفل لهم الأمن في جوارنا فحسب، ولا يكتفي منا بأن نرشدهم إلى الحق ونهديهم

طريق الخير وكفى، بل يأمرنا بأن نكفل لهم كذلك الحماية والرعاية في انتقالهم حتى يصلوا إلى المكان الذي يأمنون فيه كل غائلة[36]. ثم هل ترى أَعْدَلَ وأرْحَمَ وأحرص على وحدة الأمة وتماسكها من تلك القاعدة الإسلامية التي لا تكتفي بأن تكفل لغير المسلمين في بلاد الإسلام حرية عقائدهم وعوائدهم، وحماية أشخاصهم وأموالهم وأعراضهم؛ بل تمنحهم من الحرية والحماية ومن العدل والرحمة قدرَ ما تمنحه للمسلمين من حقوق عامة وفق قاعدة: ((لهم ما لنا وعليهم ما علينا؟!)). ثم هل ترى أوسع أفقاً، وأرحب صدراً، وأسبق إلى الكرم، وأقرب إلى تحقيق السلام الدولي، والتعايش السلمي بين الأمم، من تلك الدعوة القرآنية التي لا تكتفي في تحديد العلاقة بين الأمم الإسلامية وبين الأمم التي لا تدين بدينها، ولا تتحاكم إلى قوانينها؟ إن الإسلام لا يكفُّ لحظة واحدة عن مدِّ يد التسامح والتفاهم والتعايش والتعاون لأتباع كل ملة ونِحْلة في سبيل إقامة العدل، ونشر الأمن، وصيانة الدماء أن تسفك، وحماية الحرمات أن تنتهك، ولو على شروط يبدو فيها بعض الإجحاف. وقد حفل الواقع التاريخي للأمة الإسلامية في مختلف عصورها بأروع مظاهر التسامح، الذي لا يزال الناس يتطلَّعون إليه إلى اليوم في معظم بقاع الأرض فلا يجدونه.

**خامساً: إباحة التزوج بالكتابيات:**

شرع الله للمسلمين الزواج وندبهم للظفر بذات الدين والتقوى والخلق، وحرّم على المسلم الزواج من الكافرة غير اليهودية والنصرانية إجماعاً؛ لقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ**﴾[37]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ**﴾[38]. وهذا الحكم يشمل جميع الكافرات باستثناء نساء أهل الكتاب، قال ابن قدامة: ((لا خلاف بين أهل العلم في تحريم نسائهم وذبائحهم[39]؛ فالكتابية يهوديةً كانت أو نصرانية – يجوز للمسلم الزواج بها، ما لم تكن من قوم محاربين لنا)).

**سادساً: إباحة أكل ذبائحهم:**

أجمع أهل العلم على تحريم ذبائح عبدة الأوثان، وإباحة ذبائح أهل الكتاب[40] لقوله سبحانه: ﴿**وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ**﴾[41].

إن منظومة القيم التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي – كما يدلُّ على ذلك ميثاق نصارى نجران-، تتمثل في التعدّدية، وحرية العقيدة، والعدل، والمساواة، والحرية... وهي قيم ومبادئ جعلت من التسامح الديني سمة بارزة في الميثاق، إنه تسامحٌ لم تعهده الشعوب من قبل؛ إذ أصبح أهل الأديان آمنين محميين من الإكراه الديني، متمتعين بجميع حقوقهم الإنسانية من حيث هم بشر، بغض النظر عن عقائدهم الدينية، وألسنتهم، وألوانهم[42].

**الخاتمة:**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد: ففيء نهاية هذا البحث ذي الجهد المتواضع، وبعد أن عشنا مع قصة وفد نجران، وحوار النبي - صلى الله عليه وسلم -، والمنهج الذي اتخذه في حواره ذلك، يمكنني أن أخرج بالنتائج والتوصيات التالية:

**أولاً: النتائج.**

**1-** كان من منهج النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته لأهل الكتاب أن كان يرسل كتبه إلى رؤساء الدول والقبائل المجاورة يدعوهم إلى الإسلام فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً إلى أهل نجران الذين ظلوا على مسيحيتهم ولم يدخلوا في الإسلام.

**2-** كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يبدأ أحداً بالقتال – كما هو واضح من هذه الرسالة خاصة ومن حياته صلى الله عليه وسلم وهدية عامة – فكان إذا بعث سرية يأمر أميرها بأن يعرض على عدوه الإسلام قبل القتال، فإن أبوا بذلوا الجزية فإن أبوا فالقتال.

**3-** ذكر كتاب السيرة والدلائل أن وفداً – أو وفوداً - من نصارى نجران جاؤوا على النبي صلى الله عليه وسلم وجادلوه وناظروه في أمر المسيح، وألوهيته، وقد رويت هذه القصة بأسانيد متعددة، ورايات كثيرة، وألفاظ متقاربة في بعض الأحيان، ومختلفة في أحيان أخرى.

**4-** إن النبي صلى الله عليه وسلم جادل أهل الكتاب والكفار على اختلاف مللهم ونحلهم، إلى أن توفي، وكذلك أصحابه من بعده، وقد أمره الله سبحانه وتعالى بجدالهم بالتي هي أحسن في السورة المكية والمدنية.

**5-** أن حواره - صلى الله عليه وسلم - مع نصارى نجران، بل ومع النصارى عموماً قد رسم لنا منهجاً واضحاً في كيفية حوارنا مع أهل الكتاب، ينبغي أن نسير عليه، ونحذو حذوه لقوله - تعالى -: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وتفصيله كالآتي:

1- السماحة والوضوح، ولين الجانب مع المخالف، وعدم إيذائهم أو جرح شعورهم.

2- الصراحة والوضوح، في الطرح، وفي الدعوة إلى الحق.

3- ترك المهاترات التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

4- الرفق والعدل والصبر على المخالف، وعدم إهمال الجوانب الإنسانية.

5- تقريب الحق إلى المحاور، واحترام قوله، وعدم تسفيهه، وإبراز القواسم المشتركة لترغيبه في قبول الحق.

6- التواضع الجم منه - صلى الله عليه وسلم.-

7- الثقة بالنفس، واليقين بأن الله ينصر من نصر دينه.

8- اعتزاز المسلم بدينه، وعدم الانهزام النفسي.

**6-** أظهر الإسلام التسامح تجاه التعدّدية بكل أشكالها منذ الوهلة الأولى للإسلام، وثبّت دعائمها قولاً وفعلاً وتطبيقاً وممارسة، وذلك يتجلى في عهود الأمان التي أعطيت للآخر في بلاد الإسلام، أو في البلاد المفتوحة. وكان عهد الأمان الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأهل نجران، هو المثل الذي عقِدت على منواله عهود الأمان اللاحقة والمتتالية، على امتداد التاريخ الإسلامي والإنساني على السواء، ليصبح مشرباً ومثلاً للأجيال السابقة واللاحقة في التكيف مع الآخر، عقيدة ومنهاجاً وسلوكاً.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**ثانياً: التوصيات، ومنها.**

1- لابد من التواصل مع الآخرين، وابتداء الحوار معهم لدعوتهم إلى دين الله - تعالى -، ولكي يعرفوا ديننا على حقيقته، وسماحته.

2- لا بد من دراسة منهجه - صلى الله عليه وسلم - في حواراته مع الآخرين، فهي معالم لنا في طريق حواراتنا مع مخالفينا.

3- لا بد من دراسة ما عند الآخر، لكي نحاوره على بصيرة.

**ملخص البحث**

كان من منهج النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته لأهل الكتاب أن كان يرسل كتبه إلى رؤساء الدول والقبائل المجاورة يدعوهم إلى الإسلام، ومن هذه الرسائل النبوية كتابه صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نجران يدعوهم فيه إلى الإسلام (باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أمَّا بَعْدُ.. فَإنى أدْعُوكُم إلى عِبَادَةِ الله مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ، وأَدْعُوكُم إلى وِلاَيَةِ اللهِ مِنْ وِلاَيَةِ العِبَادِ، فإنْ أَبَيْتُمْ فَالجِزْيَةُ، فَإنْ أَبَيْتُمْ فَقَدْ آذَنْتُكُمْ بِحَربٍ، والسَّلام).

ذكر كتاب السيرة والدلائل أن وفداً – أو وفوداً - من نصارى نجران جاؤوا على النبي صلى الله عليه وسلم وجادلوه وناظروه في أمر المسيح، وألوهيته، وقد رويت هذه القصة بأسانيد متعددة، ورايات كثيرة، وألفاظ متقاربة في بعض الأحيان، ومختلفة في أحيان أخرى.

وقد استنبط العلماء من هذه القصة فوائد عديدة في مسائل العقيدة، والدعوة إلى الله، والأحكام الفقهية في الفروع، مما يدل على أهميتها والحرص على الاعتناء بها.

أن حواره - صلى الله عليه وسلم - مع نصارى نجران، بل ومع النصارى عموماً قد رسم لنا منهجاً واضحاً في كيفية حوارنا مع أهل الكتاب، ينبغي أن نسير عليه، ونحذو حذوه لقوله - تعالى -: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وتفصيله كالآتي:

- السماحة والوضوح، ولين الجانب مع المخالف، وعدم إيذائهم أو جرح شعورهم.
- الصراحة والوضوح، في الطرح، وفي الدعوة إلى الحق.
- ترك المهاترات التي لا تسمن ولا تغني من جوع.
- الرفق والعدل والصبر على المخالف، وعدم إهمال الجوانب الإنسانية.
- تقريب الحق إلى المحاور، واحترام قوله، وعدم تسفيهه، وإبراز القواسم المشتركة لترغيبه في قبول الحق.
- التواضع الجم منه صلى الله عليه وسلم.
- الثقة بالنفس، واليقين بأن الله ينصر من نصر دينه.
- اعتزاز المسلم بدينه، وعدم الانهزام النفسي.

## الهوامش

1- ابن سعد محمد بن سعد البصري، **الطبقات الكبرى** (بيروت: دار الكتب العلمية، هـ1410/1990م) ج1، ص357. المسعودي، أبو الحسن علي بن حسين المسعودي، **التنبيه والإشراف**، تحقيق: عبد الله الصاوي (بغداد: مكتبة المثنى، 1967م) ص255. ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر** (بيروت: دار الكتب العلمية، هـ1413/1992م) ج2، ص477.

2 - انظر: ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1413/1992م) ج3، ص638-646. ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي (الرياض: دار السلام، هـ 1421/2000م) ج8، ص119. محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، **السيرة**

**النبوية في فتح الباري لابن حجر**، جمع وتوثيق: الشنقيطي (المدينة المنورة: محمد محمود الجكني، هـ1414/1994م) ج3، ص308-309.

3 - البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسن بن علي، **دلائل النبوة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي (بيروت: دار الكتب العلمية، هـ1408/1988م) ج5، ص385-386. وانظر: ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي (القاهرة: دار هجر، هـ1417/1997م) ج5، ص53-54. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**، تحقيق: أبو إسحاق الجويني (الدمام: دار ابن الجوزي، هـ1431) ج2، ص53. ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، المصدر السابق، ج3، ص631-632.

4- محمد الصادق عرجون، **محمد رسول الله منهج ورسالة بحث وتحقيق**، (دمشق: دار القلم، هـ1415/1995م) ج4، ص573-583. حيث أشار لهذه الاختلافات وعلق عليها، فليراجعها من شاء الاستزادة.

5 - أحمد علي عجيبة، **نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة** (القاهرة: دار الآفاق العربية، 2004م) ص15.

6 - المصدر السابق، ص16.

7 - ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة السابعة والعشرون، 1414هـ) ج3، ص100.

8 - مسلم بن حجاج، **الجامع الصحيح**، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، رقم الحديث: 1731. الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، كتاب السير، باب ما جاء في وصيته صلى الله عليه وسلم في القتال، رقم الحديث: 1617.

9 - ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**، تحقيق: صبحي الصالح (بيروت: دار القلم، هـ1414/1994م) ج1، ص5.

10 - ابن هشام الحميري، أبو محمد عبد الملك، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شبلي (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بدون طبعة وتاريخ) ج2، ص185.

11 - أحمد علي عجيبة، **نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة** ، المصدر السابق، ص13.

12 - البيهقي، **دلائل النبوة**، المصدر السابق، ج5، ص390. ابن كثير، **البداية والنهاية**، المصدر السابق، ج5، ص55. ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، المصدر السابق، ج3، ص636. وقد ذكرت كتب السيرة أن الأسقف أبا الحارث أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيد والعاقب ووجوه قومه، فأقاموا عنده يستمعون ما ينزل الله عليه، فكتب للأسقف كتاباً وللأساقفة بعده، وكأنه كتاب خاص بالأساقفة بعد الكتاب العام لنصارى نجران. انظر: المراجع السابقة في نفس الحاشية، وسبل الهدى والرشاد 648/6، ونصارى نجران بين المجادلة والمباهلة د. أحمد عجيبة 168.

13 - انظر: ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، المصدر السابق، ج2، ص52-54.

14 - ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، المصدر السابق، ج1، ص357. ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج3، ص112.

15 - ابن كثير، **السيرة النبوية**، المصدر السابق، ج4، ص106، 107. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي، **الروض الأنف**، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل (القاهرة: دار النصر، هـ1390/1970م) ج5، ص5. ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد اليعمري، المتوفى 734هـ، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، تحقيق: محمد العيد الخطراوي (دمشق: دار ابن كثير ودار التراث، هـ1413/1992م) ج1، ص289.

16 - ابن هشام، **السيرة النبوية**، المصدر السابق، ج3، ص114. ابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، المصدر السابق، ج1، ص348.

17 - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن بريد، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي (القاهرة: دار هجر، هـ 1422/2001م) ج3، ص293. السيوطي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى 911هـ، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي (القاهرة: دار هجر، هـ1414/2003م) ج2، ص228.

18 - ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، المصدر السابق، ج3، ص549.

19 - سورة آل عمران، الآية: 59-61.

20 - انظر: ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد،** المصدر السابق، ج3، ص638-646. ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** المصدر السابق، ج8، ص119. ابن حجر العسقلاني، **السيرة النبوية في فتح الباري،** جمع وتوثيق: الشنقيطي، المصدر السابق، ج3، ص308-309.

21 - سورة الحجر، الآية: 85.

22 - سورة البقرة، الآية: 256.

23 - سورة آل عمران، الآية: 79.

24 - انظر: محمد الغزالي، **فقه السيرة،** تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني المتوفى 1420هـ، (دار الكتب الحديثة، الطبعة السادسة، 1965م) ص١٢٦.

25 - انظر: ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، المصدر السابق، ج3، ص638-646.

26 - سورة القصص، الآية: 52-53.

27 - انظر: محمد عمارة، **حرية الأقليات غير المسلمة في العالم الإسلامي** (مجلة إسلامية المعرفة) ص131. وانظر محمد الناصري، **من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التعايش مع الآخر** (مجلة الإحياء المغربية، العدد: 36) ص226.

28 - انظر: محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة** (بيروت: دار النفائس، الطبعة السادسة، هـ1407/1987م) ص187.

29 - المصدر السابق، ص189.

30 - سورة المائدة، الآية: 8.

31 - البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري،** كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، ج2، ص864، رقم الحديث: 2315. مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم،** كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم والأمر برد المظالم، ج4، ص1996.

32 - ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين** (بيروت: دار الكتب العلمية، هـ1411/1991م) ج2، ص115.

33 - انظر: محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، ص188.

34 - سورة البقرة، الآية: 285.

35 - سورة التوبة، الآية: 6.

36 - انظر: محمد عبد الله دراز، **كتاب الدين** (دمشق: دار القلم -بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان- بدون طبعة وتاريخ) ص189-191.

37 - سورة البقرة، الآية: 221.

38 - سورة الممتحنة، الآية: 10.

39 - انظر: ابن قدامة المقدسي، موفق الدين محمد عبد الله بن أحمد الحنبلي المتوفى 620هـ، **المغني**، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي وآخرون (الرياض: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، هـ1417/1997م) ج6، ص592. محمد عمارة، **حرية الأقليات غير المسلمة في العالم الإسلامي** (مجلة إسلامية المعرفة) ص133.

40 - انظر: ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي أبو الوليد، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، هـ1415/1194م) ج2، ص262. النووي، يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني الشافعي أبو زكريا محيي الدين، **المجموع شرح المهذب** (جدة: مكتبة الإرشاد، بدون طبعة وتاريخ) ج9، ص52-53. ابن قدامة، **المغني**، المصدر السابق، ج13، ص293. ففيها تفصيل لذلك.

41 - سورة المائدة، الآية: 5.

42 - انظر: محمد الناصري، **من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التعايش مع الآخر** (مجلة الإحياء، العدد: 36) ص226-233، بتصرف.